عبد الله بن ســـبأ

للدكتور جـــواد على

هذا رجل تقرأ خبره فى كل كتاب من كتب « العقائد والفرق » ، وفى أكثر كتب التاريخ التى تعرضت لموضوع « الفتنة » التى حدثت فى أيام الخليفة « عثمان بن عفان » ، وفى حادث مقتل الخليفة « على بن أبى طالب » فى الكوفة بعد تلك المؤامرة السياسية التى دبرها نفر من المعارضين لسياسة الخليفة وسياسة « معاوية بن أبى سفيان » و « عمرو بن العاص » بطل رواية التحكيم .

وقد وضع الدكتور طه حسين كتاباً سماه « الفتنة الكبرى[1] » بحث فيه عن عصر الخليفة الشهيد « عثمان بن عفان » ، وعن العوامل التى أدت إلى حدوث تلك الفتنة التى فرقت شمل العرب بعد ألفة ، وضعضعت صفوف المسلمين إلى اليوم .

وقد تعرض الدكتور فى الفصل الثالث عشر من كتابه لعبد الله بن سبأ الذى كانت له يد طولى فى هذه الفتنة على رأى جمهور من المؤرخين . وقد ذهب الدكتور إلى أن الرواة المتأخرين قد أكبروا من شأن هذا الرجل وأسرفوا فيه حتى جعل كثير من الرواة القدماء والمتأخرين هذا اليهودى المسلم مصدراً لما كان من الاختلاف ، إلى أن قال :

« ولست أدرى أكان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن ، ولكنى أقطع بأن خطره — إن كان له خطر — ليس ذا شأن ، وما كان المسلمون فى عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم طارئ من أهل الكتاب أسلم أيام عثمان ، ولم يكد يسلم حتى انتدب لنشر الفتنة وإذاعة الكيد فى جميع الأقطار[2] » .

وقد علق على الكتاب جماعة من الكتاب منهم الأستاذ السيد محمود محمد شاكر الذى نشر بحثاً قيماً فى مجلة « الرسالة » عن « الفتنة » ، وعن علاقة « عبد الله بن سبأ » بها[1] ، وقد أنكر على الدكتور رأيه فى هذا اليهودى المسلم ، صاحب الفتنة ، وصاحب تلك الآراء الفاسدة التى رددها ولقنها جماعة من السذج وهم فى صدر الإسلام على مايقوله أصحاب كتب العقائد والتاريخ .

والواقع أن خبر « عبد الله بن سبأ » ، وخبر الفرقة التى استجابت لدعوته ، وخبر الفتنة التى أثارها فى العراق وفى مصر خاصة ، وخبر تلك المقالة المنسوبة إليه ، فى المال وفى الرجعة وفى الوصية ، وفى الغلو فى حب على بن أبى طالب ؛ كل هذه من المسائل التى تحتاج إلى دراسة وبحث ، ورجوع إلى المصادر ، ومقارنة تلك المصادر بعضها ببعض ، وترتيبها ترتيباً زمنياً ، ونقد رجال الرواية ، وفحصها فحصاً دقيقاً حتى يتمكن المؤرخ من الحكم فى هذه القضية حكماً قطعياً ، وما نقوله لم يتم حتى الآن .

وقد لقى موضوع « عبد الله بن سبأ » عناية خاصة من المستشرقين ولا سيما من يهود المستشرقين . وأعتقد أن السبب واضح ؛ فهنالك طائفة منهم كانت على علمها وتدقيقها تتعصب على الإسلام ، وتتمسك حتى بالتافه من الروايات وبالأحاديث الموضوعة التى نص علماء الحديث على كذبها ، وتتخذها حجة لإثبات أثر اليهودية أو النصرانية فى الإسلام وفى أصول الدين .

ومن جملة أولئك المستشرقين « هربلو » « D Herbelot » و « دى ساسى » « De Sacy » و « فايل » « weil » و « فون كريمر » « Von Kremer » و « دوزى » « Dozy » و « موير » « Muir » و « أوكست ميلر » « August Muller » و « فان فلوتن » « Aan Vloten » و « كريتس » « Crotz » المؤرخ اليهودى المعروف ، و « ولهوزن » « wellhausen » و « هرشفلد » « Hirschfeld » و « هوتسما » « Houtsma » . فى مادة « عبد الله بن سبأ » فى « دائرة المعارف الإسلامية » ، و « اسرائيل فريد لندر » « Israel Friedlaender » ، وقد بحث عن عبد الله بن سبأ بحثاً مفصلا ، وجمع كل ما أمكنه جمعه من الروايات التى وردت فى الكتب العربية عن هذا اليهودى .

---

(١) الدكتور طه حسين . الفتنة الكبرى ١ عثمان . دار المعارف بمصر ١٩٤٧

(٢) الفتنة ص ١٣٢

(١) « الرسالة » العدد ٧٦١ يوم الاثنين ٢ فبراير سنة ١٩٤٨ السنة السادسة عشرة والعدد ٧٦٢

ورد خبر عبد الله بن سبأ فى كتب الأدب والتاريخ ، ويرجع أصل هذه الروايات إلى العصر الأموى ، وإلى رواة الكوفة أو البصرة ، أى رواة أهل العراق ، وممن ذكرهم « الجاحظ » المتوفى سنة ٢٥٥ للهجرة وهو أديب كبير صاحب أحاديث لطيفة ، ذكرهم فى كتابه الشهير « البيان والتبيين » فى « كتاب العصا[١] » وقد أخذ روايته عن حباب بن موسى عن مجالد ، عن الشعبى ، عن جرير بن قيس ، الذى قال : قدمت المدائن بعد ما ضرب على ابن أبى طالب كرم الله وجهه فلقينى ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لى ما الخبر ؟ فقلت : ضرب أمير المومنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ، ويعيش من أشد منها . قال : لو جئتمونا بدماغه فى مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه[٢] . وقد نقل عن الجاحظ جمهور من المصنفين نقلا يمكن معرفته عند مطابقة الروايات ومقارنة بعضها ببعض .

وورد خبر « ابن سبأ » فى كتاب « المعارف » لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة ؛ وقد تعرض له فى معرض « الفرق » فقال : « السبأية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ ، وكان أول من كفر من الرافضة ، وقال على رب العالمين ، فأحرق على أصحابه بالنار[٣] » .

وقد اعتمد أكثر المؤرخين على رواية أبى جعفر بن جرير الطبرى المؤرخ والمفسر والفقيه الشهير ، المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة[٤] ، وقد اعتمد عليه أكثر المستشرقين كذلك . نقلوا عنه نقلا بالحرف الواحد ، ونقلوا عنه اقتباساً ؛ فممن أخذ عنه ابن مسكويه صاحب كتاب « تجارب الأمم[٥] » ، والمؤرخ المعروف « ابن الأثير » أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى عز الدين صاحب كتاب « الكامل » فى التاريخ[١] ؛ المتوفى سنة ٦٣٠ للهجرة الذى اعتمد على تاريخ الطبرى وضمنه كتابه بعد حذف الأسانيد .

ومن المؤرخين الذين اعتمدوا على الطبرى عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ للهجرة (١٤٠٦ للميلاد) صاحب كتاب « العبر وديوان المبتدإ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر[٢] » ، والعالم الشهير المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ للهجرة (١٤٤٢م[٣]) ، والسيوطى المتوفى سنة ٩١١ للهجرة فى كتابه « حسن المحاضرة[٤] » .

أما رواية الطبرى فترجع إلى السرى عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسى[٥] ، وسنتحدث عن هذه السلسلة بعد أن ننتهى من ذكر المصادر التى تعرضت لخبر عبد الله بن سبأ .

ونجد فى « العقد الفريد » لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة روايات عن عبد الله بن سبأ وعن أتباعه السبأية الذين قال عنهم : « السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ عليهم لعنة الله ، وفيهم يقول السيد الحميرى :

قوم غلوا فى علىّ لا أبا لهم ... وأجشموا أنفساً فى حبه تعبا
قالوا هو ابن الإله جل خالقنا ... من أن يكون له ابن أو يكون أبا

وقد أحرقهم على رضى الله عنه بالنار[٦] » .

وقد ذكر ابن عبد ربه رواية أخرى نسبها إلى الشعبى فى حديث له مع مالك بن معاوية جاء فيها « أحذرك الأهواء المضلة وشرها الرافضة ، فانها يهود هذه الأمة ، يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية ، ولم يدخلوا فى الإسلام رغبة ولا رهبة من الله ، ولكن مقتاً لأهل الإسلام وبغياً عليهم ، وقد حرقهم على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ونفاهم إلى البلدان ، منهم عبد الله بن سبأ نفاه إلى ساباط ، وعبد الله بن السوداء نفاه إلى

(١) البيان والتبيين طبعة حسن السندوبى ج ٣ ص ٤٦ القاهرة سنة ١٩٢٧
(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٦
(٣) كتاب « المعارف » ص ٢٦٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٤ ص ٣٠٠ طبعة أوربا .
(٤) الطبرى طبعة أوربا ج ١ ص ٢٩٤٢ ج ٥ ص ٦٦ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ومواضع أخرى .
(٥) طبعة Caetani « كيتانى » ج ١ ص ٤٢٨ سنة ١٩٠٩

(١) « الكامل » طبعة مصر ج ٣ ص ٤٨ ، ٦٠ ، ٦٤ طبعة « تورنبك » Tornberg ج ٣ ص ١٢١ ومواضع أخرى .
(٢) راجع الجزء الثانى القسم الثانى ص ١٣٩
(٣) خطط طبع بولاق ج ٢ ص ٣٤٣
(٤) حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٤٩
(٥) الطبرى طبعة أوربا ج ١ ص ٣٩٦٢ ج ٥ ص ٩٨ طبعة مصر
(٦) العقد الفريد طبعة محمد سعيد العريان ج ٢ ص ٢٣٦